

محتوى المحاضرة الثالثة: الممالك البربرية في شمال إفريقيا

Description



Table des matières

- 1. مقدمة
- 2. أولاً-الممالك البربرية في شمال إفريقيا
- 3. ثانياً-التوسيع الفينيقي في شمال إفريقيا
- 4. ثالثاً-علاقة الفينيقين بالسكان المحليين(البربر)
- 5. خاتمة

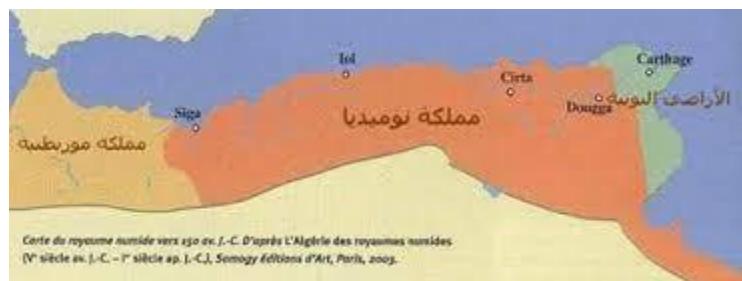
1. مقدمة

تتناول هذه المحاضرة الممالك البربرية في شمال إفريقيا وعلاقتهم بالفينيقين. حيث يعتبر دراسة هذه الحقبة التاريخية أمراً بالغ الأهمية لأجل تسلیط الضوء على التفاعلات الحضارية في منطقة البحر المتوسط القديم.

وقد شكل البربر عنصراً أساسياً في نسيج تاريخ شمال إفريقيا، حيث تميزوا بثقافتهم الغنية وقدرتهم على التكيف مع مختلف التحديات التاريخية، بالإضافة إلى ذلك مثلت علاقتهم مع الفينيقيين نموذجاً فريداً من التبادل الثقافي والتجاري الذي شكل معلماً منطقتة لقرون عديدة. كانت هذه العلاقات مزاجاً معدداً من التعاون والصراع، حيث استطاع البربر التفاعل مع الفينيقيين. ولم تكن العلاقة مجرد تبادل تجاري بل كانت تشمل تبادلاً للأفكار والتقنيات والثقافات.

وسنستكشف في هذه المحاضرة أهم الممالك البربرية التي ازدهرت في شمال إفريقيا، ونتعرف على طبيعة تفاعلاتهم مع الحضارات المجاورة وخاصة الفينيقية

2. أولاً-الممالك البربرية في شمال إفريقيا



1-مملكة نوميديا:

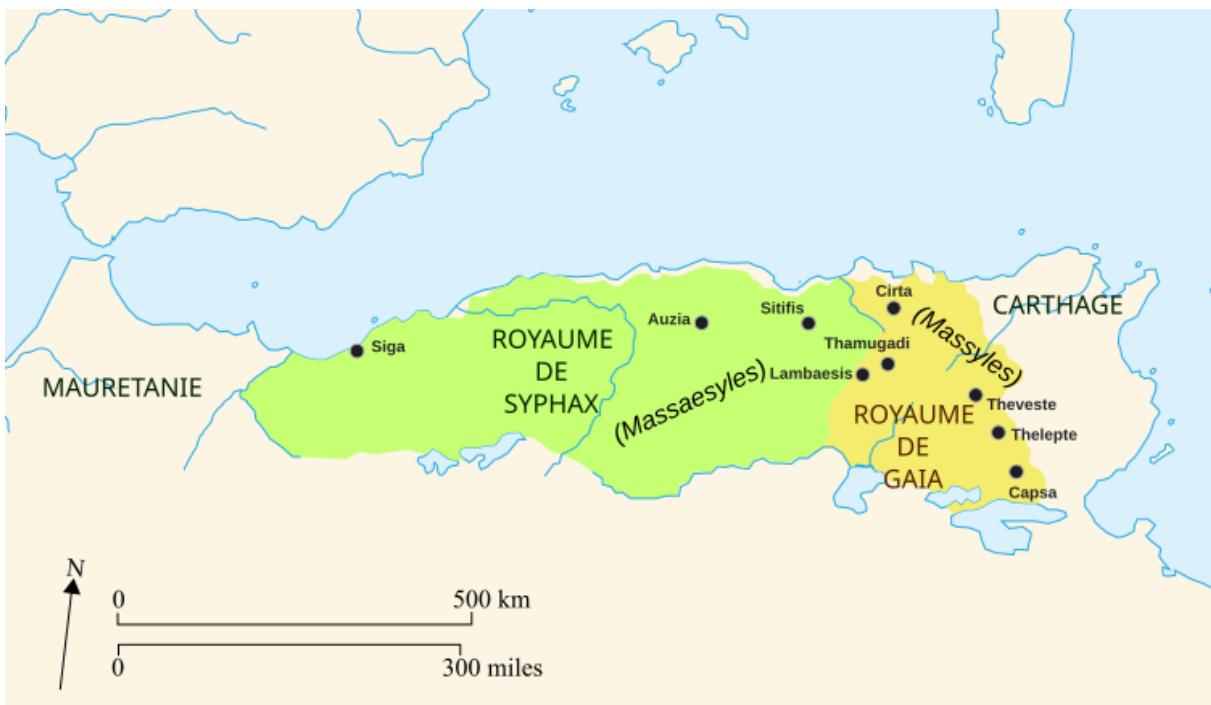
1.1- بدايات تشكيل المملكة النوميدية:

النوميد أطلق هذا الاسم منذ القرن الثالث قبل الميلاد على المملكة النوميدية التي أسسها ماسينيسا (148-320ق م) اذ تعتبر أول فترة تتشكل فيها نواة استقرار الدولة الأمازيغية وهي أكثر الفترات التي أثرت بشكل فعال و مباشر في تشكيل الصبغة الشاملة للمنطقة. كشعب وكقوة سياسية تبسط سيادتها على منطقة واسعة تمتد من حدود قرطاج شرقاً إلى وادي ملوية غرباً، وقبل ذلك كانت مقسمة إلى قسمين: نوميديا الشرقية (ماسيليا) بقيادة سيفاقس الذي سيكون حليف الفينيقيين ونوميديا الغربية (ممكلة ماسيسيليا).

أ-مملكة نوميديا الشرقية: ترجع إلى قبائل الماسيل وقد برزت هذه المملكة في القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت تغطي الشرق الجزائري وغرب تونس، لكن حدودها كانت متغيرة وخاصة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في إفريقيا الشمالية، وكانت سلطة ملك الماسيل في بداية الحرب البونيقية تمتد على الأوراس والشرق القسنطيني، وكانت تغطي مناطق غنية أكثر من المملكة الغربية كالهضاب العليا، وبعد الحرب البونيقية تمكّن ماسينيسا الذي حمل شعار إفريقيا للأفارقة من أن يعيد الوحدة السياسية لنوميديا.

ب-مملكة نوميديا الغربية: الماسيسيل Masaesyles: وهي نسبة إلى قبائل الماسيسيل الذين ظهروا كقوة منذ أواخر القرن الثالث ق.م وأوائل القرن الثاني، والذين دخلوا في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية، والتي كان على رأسها أنذاك سيفاقس الذي نعته المؤرخ الروماني Titus Livius بأنه الملك الأقوى في كل إفريقيا، والذي امتدت من وادي ملوية (شمال شرق المغرب) إلى رأس تريتون أو رأس بوقارون (أو ما يصطلح عليه برأس ذو القرون، أو سبعة رؤوس وهو رأس بحري جزائري يقع في ولاية سكيكدة) وهي المملكة التي كانت تغطي مساحة واسعة، حيث تمتد من شرق المغرب إلى الشرق الجزائري، واعتبرت سيغا Siga عاصمة لها (قرب عين تموشنت حالياً).

والصورة الآتية توضح الممالكتين النوميديتين في شمال إفريقيا:



في أعقاب الحرب البونية الثانية أو البونيقيّة تغيرت معالم المملكة النوميدية واتسعت مملكة ماسينيسا على حساب مملكة سيفاكس فامتدت من مدينة سيغا غرباً إلى حدود قرطاجة شرقاً.

تأسست مملكة نوميديا في القرن الثالث قبل الميلاد، وتحديداً بعد انتصار الرومان على قرطاج في الحرب البونيقيّة الثانية (201-148 قبل الميلاد). كان الملك ماسينيسا، الذي حكم مملكة الماسيل، هو الشخصية الرئيسية في توحيد القبائل النوميدية تحت راية واحدة، مما أدى إلى تأسيس مملكة نوميديا الموحدة.

أسباب التوحيد اعتمد ماسينيسا على عدة استراتيجيات لتحقيق هذا التوحيد:

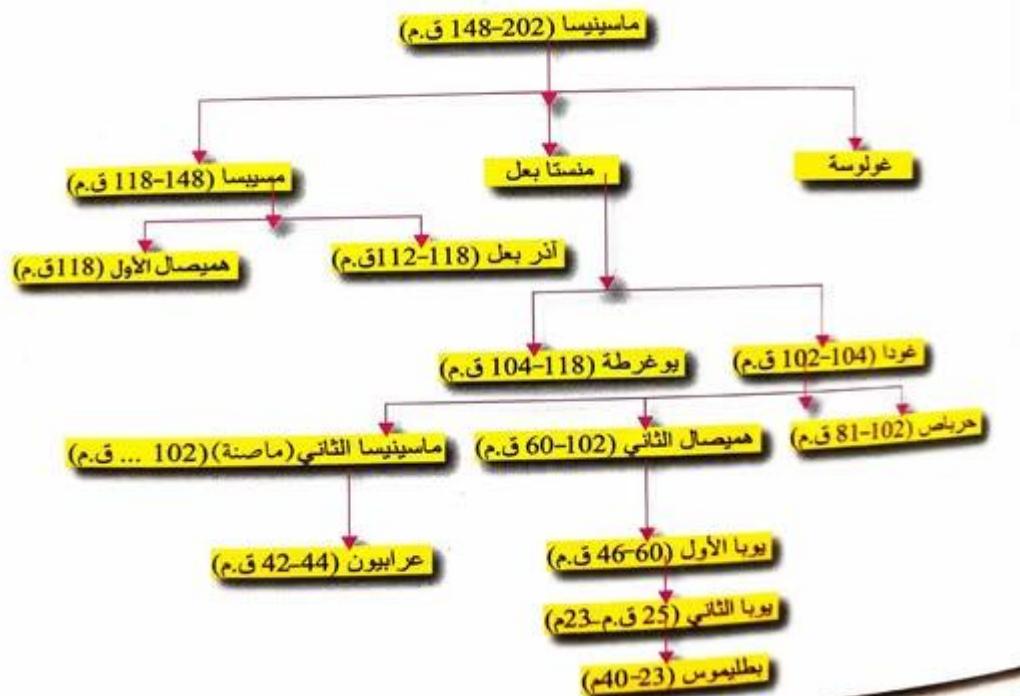
- التحالفات السياسية: استغل العلاقات الأسرية والمصاهرات مع زعماء القبائل لتعزيز سلطته.
- الجيش القوي: أنشأ جيشاً منظماً يجمع بين المشاة والفرسان، مما ساعد في الانتصار على خصومه مثل سيفاكس، ملك الماسيل.
- الشعور الوطني: استثمر في الهوية النوميدية والمشاعر الدينية لتعزيز الوحدة بين القبائل المختلفة.

الإنجازات خلال فترة حكمه التي استمرت حوالي 60 عاماً (148-202 قبل الميلاد)، قام ماسينيسا بـ إصلاحات:

- تطوير الزراعة: شجع على الاستقرار وزراعة الحبوب، مما ساهم في ازدهار الاقتصاد النوميدي.
- إصدار العملة: صك عملات تحمل صورته وصور ملوك آخرين، مما يدل على قوة المملكة الاقتصادية.
- بناء المدن: أسس مدنًا جديدة مثل سيرتا (قسنطينة حالياً) التي أصبحت عاصمة المملكة.

2.1-أهم ملوك البربر:

شجرة الأسرة الحاكمة (اللامسينية)



لامسينيسا: كان أعظم ملوك البربر القدماء، وأكثرهم ملكاً وأوسعهم أرضاً، وأقواهم جيشاً، الذي نظمه على الطريقة الرومانية، واحسنهم إدارة لملكه، وأقواهم إقتصاداً، اسس أكبر أسرة حاكمة، ملكت البلاد النوميدية مدة قرن، ثم البلاد الموريتانية لأكثر من ستين سنة.



بـ-مسيسا Micypsa (ميكيبيسا): وهو الابن الأكبر لمسينيسا تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 148 ق.م، لكنه لم يكن بشجاعة أبيه ومتزنته. تولى الحكم سنة 148 ق.م، ربط علاقات ودية متينة من روما، إلى حد يمكن تفسير بعض إجراءاته بالتبعية لها، فقد ساند الرومان مثلًا في حملاتهم التوسعية، بإرسال جيش بقيادة يوجرطة 134 ق.م للمساهمة في حرب نوميدية بإسبانيا، كما منح تسهيلات تجارية كبيرة للرومان، الذي استغلها هؤلاء لتنمية مصالحهم الاقتصادية بنوميديا وغرس جالية رومانية ستكون ورقة سياسية خطيرة بيده روما.

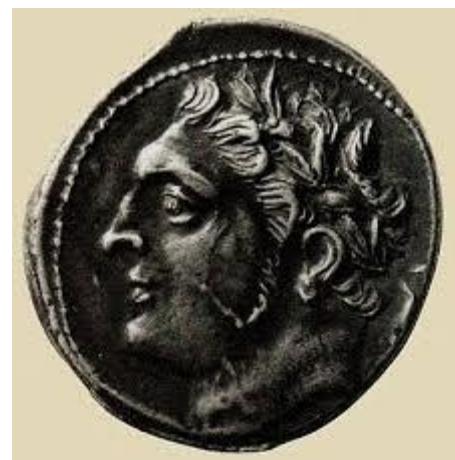


ج-مستبعل: هو ملك نوميديا الموحدة ووالد يوغرطة ابن ماسينيسا حكم نوميديا بعد وفاة اخوه وتولى السلطة القضائية.



(الصورة مأخوذة من الموقع الرسمي للمتحف البريطاني)

ديوغرطة: ولد يوغرطة خلال سنة 118ق.م وهو ابن مستبعل أخ الملك ميسيسا ابن الملك ماسينيسا وهو من القبائل المسمالية في الشرق الجزائري، كفله عمه ميسيسا بعد وفاة والده، شارك معه في عدة حروب ضد الإسبان كحليف للروم تحت قيادة يوغرطة، بدأت الحرب بين يوغرطة وروما عندما قام بقتل العديد من التجار الرومان وأظهر طموحه لتوحيد نوميديا تحت حكمه. استمرت الحرب لمدة سبع سنوات، حيث حقق يوغرطة عدة انتصارات على القوات الرومانية، لكنه تعرض للخيانة من قبل بوكوس الأول، ملك موريطانيا، الذي سلم يوغرطة إلى الرومان أين تم شنقه بإحدى ساحات روما 104 ق.م.



2-مملكة موريطنانيا:



شكلت مملكة موريطنانيا لوحة تاريخية متكاملة في شمال إفريقيا، حيث بُرِزَتْ كمركزًا حضاريًا متميزة انتقل من نظام الممالك المحلية إلى المقاطعات الرومانية. وقد تمثلت في مملكتين هما:

أ-موريطنانيا الطنجية: كانت مملكة قديمة ثم أصبحت مقاطعة رومانية في أقصى غرب شمال إفريقيا، شملت ما يُعرف اليوم بشمال المغرب وجزء من الجزائر الغربية، وكانت عاصمتها طنجة (تينجيس). يحدها شرقاً موريطنانيا القيصرية، وغرباً المحيط الأطلسي، وشمالاً البحر المتوسط، وجنوباً سلسلة جبال الأطلس.

تطور حكمها من نظام ملكي محلي تحت حكم ملوك أمازيغيين، أشهرهم بوخوس الأول وبوخوس الثاني، إلى مقاطعة رومانية عام 40 م بعد مقتل الملك بطليموس على يد كاليجول.

تميزت المنطقة باقتصاد متعدد اعتمد على الزراعة، خاصة إنتاج الزيتون والحبوب، وتربية الماشية، والتجارة البحرية عبر موانئها مثل طنجة وليكسوس. شهدت المنطقة انتراجاً حضارياً بين الثقافة المحلية الأمازيغية والتأثيرات الفينيقية والرومانية، وتركَت آثاراً عمرانية مهمة مثل مدينة طنجة القديمة. استمرت المقاطعة تحت الحكم الروماني حتى القرن الخامس الميلادي، حيث تعرضت لغزوات الوندال ثم دخلت تحت الحكم البيزنطي.

ب-موريطنانيا القيصرية: كانت مملكة قديمة ثم تحولت إلى مقاطعة رومانية في شمال إفريقيا، امتدت على طول الساحل المتوسطي في ما يُعرف اليوم بالجزائر الوسطى والغربية، الجزائر في العصور القديمة، كان يحدها شرقاً نوميديا وغرباً موريطنانيا الطنجية وجنوباً الصحراء الكبرى. اشتقت اسمها من "مورى" نسبة إلى السكان الأصليين، وأضيفت "القيصرية" نسبة للإمبراطور كلوديوس.

مرت المنطقة بمرحلةتين تاريخيتين رئيسيتين: الأولى تحت حكم الملوك المحليين مثل ماسينيسا ويبوا الثاني، والثانية كمقاطعة رومانية بعد تقسيم المملكة عام 40 م، وتميزت المنطقة باقتصاد متعدد اعتمد على الزراعة، خاصة القمح والزيتون والعنب، والتجارة البحرية والبرية. أما اجتماعياً، فقد تكونت من مزيج من السكان الأصليين (الموريين) والرومانيين واليهود والأفارقة. عاصمتها كانت قيصرية (شرشال حالياً) وتميزت بعمارة متقدمة شملت المسارح والحمامات والمعابد والأسواق. واجهت المنطقة في نهايتها تحديات كبيرة تمثلت في الثورات المحلية والضغوط الخارجية والأزمات الاقتصادية.

3-ثانيا-التوسيع الفينيقي في شمال إفريقيا

1-من هم الفينيقيون؟

الفينيقيون شعب متفرع عن الكنعانيين استوطنوا الساحل السوري، بداية من القرن 12 ق.م، اشتغلوا بالتجارة والملاحة وبرعوا في صناعة السفن، كانوا يمتلكون تجارة شرق البحر المتوسط، ولكنهم اصطدموا بمنافسة الإغريق اليونان، وسعوا مناطق نفوذهم إلى شمال إفريقيا، وصقلية وإسبانيا، وبنوا محطات تجارية لهم على طول الساحل المتوسطي المغربي، فأنشأوا بداية مدينة أونتاكا (المدينة العتيقة) بتونس سنة 1101 ق.م، ثم بنوا قرطاج (المدينة الجديدة) سنة 814 ق.م التي أصبحت عاصمة لهم بعد سقوط صور والمدن الفينيقية السورية بيد الأشوريين.

2- دوافع التوسيع الفينيقي في شمال إفريقيا:



من خلال ما تقدم في الخريطة يتضح جلياً أن الفينيقيون أتوا من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بهدف التوسيع نحو شمال إفريقيا، ويرجع ذلك إلى جملة من الدوافع الموضحة فيما يلي:

1- الدوافع التجارية:

- البحث عن أسواق جديدة
- السيطرة على طرق التجارة البحرية
- الوصول إلى مصادر المعادن الثمينة.

2- الدوافع السياسية:

- الضغط الآشوري على المدن الفينيقية
- البحث عن مناطق نفوذ جديدة

• تأمين الموانئ الاستراتيجية.

وقد تمت مرحلة التوسيع على مراحلتين هما:

المرحلة الأولى ما بين 1100-900 ق.م: خلال هذه الفترة بدأت الحضارة الفينيقية مرحلة استكشافية مهمة على سواحل شمال أفريقيا. في هذه المرحلة الأولى، اقتصرت أنشطتهم على استطلاع السواحل وإنشاء محطات تجارية مؤقتة، حيث حرصوا على بناء علاقات أولية مع السكان المحليين البربر. كانت هذه الخطوات الأولى تهدف إلى فهم طبيعة المنطقة وإمكاناتها التجارية والاقتصادية.

المرحلة الثانية ما بين 900-600 ق.م: وفيها انتقلت الأنشطة الفينيقية إلى مستوى أكثر تعقيداً وعمقاً، حيث تحولوا من مجرد زوار مؤقتين إلى مؤسسين دائمين. وُتُعد تأسيس مدينة قرطاجة عام 814 قبل الميلاد نقطة تحول استراتيجية، حيث أصبحت المدينة مركزاً تجارياً وحضارياً رئيسياً. عملوا خلال هذه الفترة على توسيع شبكة مراكزهم التجارية على طول السواحل الأفريقية، مما مهد الطريق لتأثير حضاري عميق في المنطقة.

3-نتائج التوسيع الفينيقي في شمال إفريقيا:

شكل التأثير الفينيقي في شمال إفريقيا منظومة متكاملة من التأثيرات الاقتصادية والثقافية. فعلى الصعيد الاقتصادي، طور الفينيقيون نظاماً تجارياً متطوراً اعتمد في البداية على نظام المقايضة، ثم انتقل لاحقاً إلى استخدام العملة القرطاجية كوسيلة للتبادل التجاري. برعوا في تطوير طرق التجارة وفتح أسواق جديدة، مما وسّع نطاق تأثيرهم الاقتصادي.

وازدهرت تحت أيديهم صناعات متعددة أثرت بشكل جزئي في الاقتصاد المحلي، مثل صناعة الأرجوان الشهيرة التي اشتهروا بها، وصناعة الزجاج المتقدمة، وصناعة السفن التي مكنتهم من التوسيع البحري. أما على الصعيد الثقافي، فكان للفينيقيين بصمة واضحة في مجال الكتابة، حيث انتشرت أبجديتهم بسرعة وتطورت إلى الكتابة البوئية، تاركين إرثاً كتابياً غنياً من النقوش والكتابات. كما برع الفينيقيون في الفنون والعمارة، مطوريين أساليب معمارية فريدة وإبداعات في النحت والفخار والزخارف، مما أثرى المشهد الثقافي للمنطقة بتراث فني متميز.

أما من ناحية المستوطنات الفينيقية فقد بنوا العديد من المدن على الساحل الجزائري مثل: هيبون (عنابة)، روسيكاد (سكيكدة)، صلادي (بجاية)، إيكوزيم (الجزائر العاصمة)، تيبازاوإبول (شرشال)، وموريسطاقا (مستغانم).

4-ثالثاً-علاقة الفينيقيين بالسكان المحليين(البربر)

تميزت علاقة الفينيقيين بالأمازيغ أو البربر بالسكان المحليين بشمال إفريقيا بالتعقد، حيث تأثرت بالتفاعل والتبادل الثقافي والاقتصادي والاجتماعي. ويمكن تلخيص هذه العلاقة في عدة محاور رئيسية:

1. **التبادل التجاري:** شكل التبادل التجاري أساس التواصل الأول بين الفينيقيين والأمازيغ. قدم الفينيقيون سلعاً متطرورة مثل الأقمشة والمعادن المصنعة، بينما قدم الأمازيغ المواد الخام كالمعادن والمنتجات الزراعية. كانت الموانئ مثل قرطاجة مراكز رئيسية لهذا التبادل.

2. **التأثير الثقافي والحضاري:** حدث تبادل ثقافي عميق بين الطرفين. تعلم الأمازيغ من الفينيقيين الكتابة والصناعات المتقدمة، فيما نقل الأمازيغ للفينيقيين معرفتهم المحلية بالأرض والزراعة. ظهرت الثقافة البوئية كنتيجة مباشرة لهذا التفاعل.

3. **العلاقات الاجتماعية:** حدث اختلاط اجتماعي واسع من خلال الزواج المختلط وتبادل السكان. نشأت مجتمعات مشتركة في المدن الساحلية، وتكونت طبقة متمازجة من التجار والحرفيين.
4. **التحالفات والصراعات:** لم تكن العلاقة سلمية دائماً. شهدت المنطقة فترات من التحالفات السياسية وأخرى من الصراعات، خاصة عندما حاولت قرطاجة التوسع في المناطق الداخلية.
5. **تأثير اللغوى:** تأثرت اللغات المحلية بالتأثيرات الفينيقية، وظهرت لغة البوئية كلغة مشتركة في بعض المناطق.
6. **الممارسات الدينية:** حدث تبادل في الممارسات الدينية، حيث تأثر الأمازيغ ببعض الطقوس الفينيقية، وانتشرت عبادات مشتركة.

وعليه فهذه العلاقة المعقدة كانت أشبه بـ "تحالف استراتيجي" مبني على المصالح المشتركة والتكامل الاقتصادي والثقافي، وليس مجرد علاقة استعمارية بسيطة.